تربية الآباء

ضرورة اجتماعية كتربية الأبناء

بقلم الأستاذ سلامه موسى

الأستاذ "نايل" من خيرة رجال التربية في انجلترا وهو يدير مدرسة للأطفال الشواذ، أي أولئك الذين يتعبون آباءهم بالعصيان والتشرد والفرار من المدرسة وكراهة الدروس وغير ذلك . وهو يديرها بنجاح ويخرج من هؤلاء الأطفال الذين يئس آباؤهم من إصلاحهم عبقريين يهوون الدرس ويتفوقون فيه بعد أن كانوا يفرون منه . وقد ألف كتابا عن " الطفل الشاذ " أو " الطفل المشكل " قال فيه إن علاجه لهؤلاء الأطفال يمكن تلخيصه في كلمة . هي "الحب".

وهو يذكر أنه بعد أن أعمل رويته في الموضوع وجد أن هؤلاء الاطفال إنما يعود شذوذهم أو إشكالهم الى المعلمين والى الآباء فوضع كتابين آخرين هما "المعلم المشكل" و" الأب المشكل".

ونحن نسلم بأن المعلم يحتاج الى تربيـة خاصة وتؤسس المدارس للمعلمين حتى يقفوا على المبادئ الحقة للتربية. ولكنا لا نؤسس المدارس للآباء حتى يقفوا على المبادئ الحقة للعاشرة الزوجية والاشتراك العائلي بين الآباء والأبنـاء وإدارة البيت الأمثل وتحقيق الصحة والهناء والرقي لسكانه . ونحن نفاخر باتباع الطرق العلمية في الزراعة أو الصناعة ولكن قلما يخطر ببالنا أن هناك أبوة علمية أو زوجية علمية قائمة على اتباع الطرق العصرية في جلب السعادة وتكوين الشخصية لأفراد العائلة .

وكل منا نسلم بأن الآباء يربون الأبناء تربية حسنة أو سيئة . ولكن هل ينكر أحد منا أن الأبناء أيضا يربون الاباء ؟

إن التربية هي مجموعة اختبارات نظرية أو عملية نستفيد منها في تكوين شخصيتنا وتوجيهنا في الحياة لكي ننتفع نحن والمجتمع بأنفسنا ونعيش الحياة الطيبة . وليس شك في أننا ننتفع بأبنائنا كثيرا من هذه الناحية . فإنهم يزيدون تبعاتنا الاجتماعية فتستقيم بذلك شخصياتنا ويربطوننا بالبيت ويوجهوننا وجهة المستقبل ويجعلون الحب بيننا وبين زوجاتنا واجبا بعد أن كان غريزة فقط . بل هم يصونوننا من النشوز الاجتماعي لأن الزوج الأب يمتاز عن الزوج الأعزب — امتيازا يثبته الاحصاء — ببعده عن الجريمة .

ولكن الآباء يحتاجون إلى تربية خاصة في عصرنا . عصر المدنية وبيئة المدينة وكلاهما يغري بتفكيك العائلة ويعرضها لعشرات الأخطاء التي لم تكن تتعرض لها العائلة القديمة قبل

خمسين أو مائة من السنين . وكما أن شارع المدينة يختلف عن الطرق القروية القديمة بوفرة أخطاره واحتياج المرور فيه الى أنظمة دقيقة كذلك تتعرض العائلات الحديثة إلى ضروب من الشرور لم تكن تعرفها العائلة القديمة الوادعة فى قريتها الصغيرة النائية . فان سلطة الأب البطريركية قد زالت عن الزوجة بل أحيانا عن الأبناء اذا بلغوا سنا معينة . و بعد أن كان البيت بؤرة الاجتماع الوحيدة تشعع المجتمع وتعددت فيه وسائل الاستمتاع والاغراء الحسنة والسيئة فأصبح الخطر على البيت كبيرا .

ونجد هذه الحال على أقصاها وأخطرها فى الأمم التى جعلت الديموقراطية معيشة كما هى مبدأ وفلسفة مثل الولايات المتحدة الأمريكية حيث فشا الشقاق وكثر الطلاق فأنشئت المدارس لتربية الآباء كيف يعيشون لكى يعيدوا الاستقرار السابق للعائلة و يتفادوا من أسباب الشقاق .

وكيف يربى الآباء فى هذه الظروف الجديدة ؟

يربى الآباء لكى يخلقوا الجو السعيد والبيئة الراقية و يجعلوا البيت معهدا حرا لمجتمع حر يخرج أشخاصه ولكل منهم شخصية قويمة تمتاز بصحة الجسم وسلامة النفس وثقافة الذهن واستقامة الأخلاق .

يربى الآباء لكى يعرفوا مقام الأبوة العلمية لأبنائهم ، حتى لا يفسدوا بتدليل أو قسوة ، وحتى يجدوا من أبنائهم زملاء يسيرون معهم بالشورى والنصيحة وليس بالأمر والنهى . وحتى يعرفوا أن قدوة الأبوين أمام الأبناء هى من أعظم الوسائل للتربية وأن السنوات الأولى للطفل ليس لها من ناحية التربية وتكوين الأخلاق ما يساويها من القيمة فى سائر عمره .

يربى الآباء على الزوجية العلمية ، حتى يدركوا أن الزواج معاشرة وزمالة واحترام وشرف وأنه تفاعل للنمو والرقى ، و أن الزوج محتاج إلى أن ترقيه زوجته كما أن الزوجة محتاجة إلى أن يرقيها زوجها . وإهمال أحدهما فى كل هذه الاعتبارات يؤذى الآخر ثم يرتد الأذى أيضا على الأول .

يربى الآباء على فن المعيشة الصحية حتى يختاروا المسكن الحسن والطعام المفيد لهم ولأولادهم . فان كثيرا من الأمراض التى تفشو بيننا تعود إلى اتباع أسلوب سيئ فى العيش بكراهة الهواء المطلق والإثقال من اللباس ووفرة المواد النشوية وقلة الفيتامينات ونحو ذلك ، والوسط المدنى لبعده عن الريف الممتاز بشمسه وطعامه الساذج الطازج ، يحتم علينا العناية بصحتنا و يكبر لهذا السبب من شأن المطبخ عند الآباء .

والبيت الراقى هو البيت المثقف . ولذلك يجب تربية الآباء فى الثقافة ، وتفاوت الثقافة بين الزوجين يؤدى إلى اختلاف الأذواق مع لاختلاف فى اختيار الأصدقاء ومع كراهة للهموم التى يهتم بها أحد الزوجين مما لا يهتم به الثانى .

والبيت الراقى هو البيت الذى يشترك فيه الزوجان — مع الأبناء إذا أمكن — فى قراءة الجريدة أو المجلة واختيار الكتب والصور والمناقشات المثيرة فى موضوعاتها جميعها .

وعندئذ نجد الزمالة الذهنية سبيلا إلى إيجاد السعادة العائلية .

وتربية الآباء تقتضى تنظيم الميزانية حتى لاتزيد النفقات على الإيراد ، بل حتى يدخر جزء معين لطوارئ المستقبل .

وهذه التربية هى التى تقينا من الاسراف السخيف فى حفلات الزواج والوفاة .

ومن البذخ السيئ فى الضيافة والاسراف فى اللباس والأثاث . فان هذا الاسراف وهذا البذخ هما فى النهاية رغبة أنانية فى الزهو الذى لا يرضاه شخص قد هذبت الثقافة أذواقه وجعلته يلتزم الاعتدال .

وتربية الآباء تقتضى درس الضيافة باعتبارها فنا اجتماعيا للتعارف والمؤانسة . وليست الضيافة أن نقيم وليمة وتهيئ مائدة نفاخر بها المطاعم الكبرى بشتى الألوان التى قد نفرى بأكلها وتمرض من وفرتها . وانما هى تعارف ومؤانسة غايتهما السرور والرقى والتوسع فى الصداقة والزمالة . وليست بيوتنا مطاعم ولا يمكن أن نفخر بأن تكون كذلك وانما يمكن أن نفخر بأشخاصنا المتمدنين الراقين .

* * *

إننا نعيش فى عصر قد اشتبكت فيه عوامل اجتماعية مختلفة . وهذه العوامل الاجتماعية تتأثر بالعائلة وتؤثر فيها . والعائلة مع ذلك فى تطور مستمر . وهى مهددة فى كيانها . وقد يكون هذا الكيان أحيانا سيئا تطلب المصلحة الاجتماعية حله . ولكن الشاب أو الفتاة اللذين درسا موضوع العائلة أعزبين ومتزوجين — يمكنهما التفادى من هذه الخاتمة السيئة .

والمفكر الاجتماعى لاينسى أن صبيان الإصلاحيات ينشأون فى عائلات مفككة . وأن النيوروز قد ينشأ من التدليل فى البيت أيام الطفولة . وأن "العود" فى العرف القانونى عند بعض الأمم قد نقل من الفرد الى العائلة . وأن البول السكرى قد ينشأ من الطبخ السيئ وأن الخمر قد يلجأ اليها زوج كاره لبيته .

لايستطيع المفكر الاجتماعى أن ينسى ذلك . ولذلك لايسعه الا أن يرى أن العائلة هى بؤرة المجتمع الصالح .

سلامة موسى